

كلمة الله: يسوع ينشئ سر المعمودية (متى ٢٨: ١٦ - ٢٠).

"أما التلاميذ الأحد عشر فذهبوا الى الجليل، الى الجبل، حيث أمرهم يسوع. فلما رأوه سجدوا له، ولكن بعضهم شكوا. فدنا يسوع وكلمهم قائلاً: أني قد أعطيتُ كل سلطان في السماء والأرض. فاذهبوا وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام الى منتهى الدهر".

التعليم

١. ضرورة المعمودية

أنشأ يسوع سر المعمودية بعد قيامته، وقبل صعوده الى السماء. وقد أراد أن يفعل ذلك بحضور الأحد عشر رسولاً، لأن الثاني عشر أي يهوذا كان قد شنق نفسه، ولم يكن الرسل بعد قد اختاروا خليفة له.

المعمودية أول سر يقبله المسيحي. وبالمعمودية يحصل للمرة الأولى على النعمة المبررة. أنها الباب الذي يدخل منه الى بقية الأسرار. فمن لا يكون معمداً لا يستطيع أن يُثبَّت ولا أن يعترف أو يتناول القربان الأقدس ولا أن يُرسم كاهناً، ولا أن يقبل المسحة الأخيرة ولا سر الزواج، لأنه لا يمكن ازدياد النعمة في النفس أو ارجاعها اليها، ان لم تكن تملكها من قبل يسوع: "من آمن واعتمد يخلص" (مرقس: ١٦: ١٦). المعمودية اذاً ضرورية جداً للخلاص، وبدونها لا يمكن دخول السماء. لأن السيد المسيح قال: "ان لم يولد أحد من الماء والروح، فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو ٣: ٣، ٥).

المعمودية تصيِّرنا أي اتباع المسيح. والمسيحي ابن الله بالتبني وعضو في الكنيسة. فمن يقبل المعمودية يصبح من أعضاء الكنيسة.

٢. العناصر التي بها تقوم المعمودية

(أ) مادة المعمودية الماء الطبيعي. ولا يمكن أن يُعوَّض منه بأي شئ آخر. واذا فُقد الماء فلا يمكن التعميد مطلقاً.
(ب) صورة المعمودية في الطقس اللاتيني هي الكلمات التالية، بدون زيادة ولا نقصان: "يا فلان، أنا اعمدك باسم الأب والابن والروح القدس"

(ج) أما خادِم المعمودية، أو الشخص الذي يمنحها، فهو عادةً خوري الرعية، أو كاهن آخر مفوَّض. غير أنه في حين الضرورة، الحاصلة في خطر الموت وفي غياب الكاهن، يستطيع أي انسان أن يعمد، ذكراً كان أو انثى، مسيحياً أو غير مسيحي، بشرط أن يعرف كيف يعمد، وان ينوي عند منحه السر، أن يفعل ما تفعله الكنيسة، وبناء على ذلك يستطيع حتى الوثني والملحد أن يعمد عند الضرورة، اذا كان يعرف طريقة العماد، وينوي أن يصنع ما تصنعه الكنيسة عندما تعمد.

_ لا يجوز لوالدي الطفل أن يُعمداه. الا اذا كان في خطر الموت ويُخشى أن يموت حالاً، ولا يوجد أحد غيرهما ليعمده.

تتم المعمودية في الطقس اللاتيني وفي بعض الطقوس الشرقية، يصب الماء على رأس الطفل أو الشخص البالغ، في نفس الوقت الذي تُلفظ فيه كلمات الصورة، وفي البعض الآخر من الطقوس الشرقية يُغطس المعمد في الماء، بينما يقول المعمد كلمات الصورة.

وقد جرت العادة عند منح سر المعمودية، أن يُسمى الشخص المعمد باسم أحد القديسين؛ وذلك لكي يتذكر أن النعمة التي حصل عليها بالمعمودية، وقد حولته الى انسان جديد، وان ذلك القديس الذي دُعي باسمه، يجب أن يكون له قدوة يقتدي بها في ممارسة الفضيلة، وشفيعاً له في السماء.

٣. العرابون (الاشايين) في المعمودية

أن الأطفال أو البالغين الذي يتقدمون لقبول سر المعمودية، يجب أن يقدمهم الى الكنيسة الكاثوليكية أشخاص مسيحيون من قبل. هؤلاء الأشخاص يدعون "كسُفلاء" أو "عرَّابين" أو "اشايين"، وهم كناية عن والدين روحين للمعمدين. وعلى الكفلاء الذي قدموا طفلاً للمعمودية أن يعتنوا بتربية المسيحية. واذا اساء السلوك في كبره، وعاش عيشة لا تليق بالمسيحي، فعليهم أن يذكروه بالعهود التي قطعها على نفسه في المعمودية، ويحرضوه على أن يكون أميناً. على المواعد التي وعدوها يومئذ نيابةً عنه، عندما كان طفلاً غير قادر على التكلم.

المعمودية باب الأسرار وباب السماء أيضاً. فعلى الوالدين واجب ثقيل، عندما يولد لهم طفل، أن يسعوا في تعميده بأسرع ما يمكن، وان لا يتأخروا أكثر من ثمانية أو عشرة أيام بعد مولده، نظراً الى سيولة تعرّضه لخطر الموت وقتئذ. والأطفال الذين يموتون من دون معمودية. لا يمكنهم دخول السماء، بل يذهبون الى "لمس"، حيث يتمتعون بسعادة طبيعية، لكنهم يُحرمون معاينة الله.

٤. الاستشهاد والمحبة

كل شخص بالغ يستطيع أن يقبل معمودية الماء، يجب عليه أن يطلبها ويقبلها. أما الذين لوجودهم في ظروف خاصة، لا يتمكنون من قبول المعمودية الماء، وقد أمسوا في خطر الموت، فيمكنهم أن يعوضوا عنها بمعمودية الدم، التي تقوم بالاستشهاد من أجل ايمان المسيح. ففي الاضطهادات التي ثارت على الدين المسيحي في سالف الأزمان وفي العصر الحاضر أيضاً، حدث ويحدث مراراً، أن اشخاصاً كانوا مستعدين لقبول انجيل المسيح والدخول في دينه، الا أنهم وُجدوا فجأةً مضطرين الى سفك دمائهم وبذل حياتهم، لكيلا يجحدوا ايمانهم المسيحي. فماتوا قبل أن يتمكنوا من قبول سر المعمودية. أنهم لم يتعمدوا بالماء، لكن دمهم المسفوك عوضهم من معمودية الماء.

ويمكن أيضاً التعويض عن المعمودية الماء بمعمودية الاشتياق، التي هي _ بجسب مدلول اسمها _ فعل محبة شديدة نحو الله. واشتياق الى اتخاذ الطرائق التي وضعها الله للخلاص، ومن ثم اشتياق ضمني للمعمودية. فحيثما لا توجد لدينا امكانية الاعتماد بالماء، تكفي المحبة لله والرغبة (الاشتياق) في عمل ما يطلبه الله.

ولذا يجب علينا أن نتذكر أمراً واحداً على الاطلاق، وهو أنه من دون المعمودية الماء أو الدم أو الاشتياق لا يمكننا أن نخلص نفوسنا، لأننا نكون في تلك الحالة محرومين النعمة المبررة، التي هي وحدها تؤهلنا لرؤية الله، وحبه والتمتع به في السماء

موجز اللقاء

١. انشا الرب يسوع سر المعمودية، بعد قيامته قبل صعوده السماء. المعمودية أول سر يقبله المسيحي، وبها يحصل على النعمة المبررة لأول مرة. وهي باب الأسرار، لأنه بدونها لا يمكن قبول باقي الأسرار.

المعمودية ضرورية جداً للخلاص، وبدونها لا يمكن أن ندخل السماء، وبها نصير مسيحيين وابناء الله بالتبني وأعضاء الكنيسة.

٢. العناصر الثلاثة التي بها تقوم المعمودية هي المادة أي الماء الطبيعي. والصورة أي الكلمات التالية: يا فلان أنا أعمدك باسم الأب والابن والروح القدس. والخادم أي الشخص الذي يعمد. خادم المعمودية الاعتيادي هو خوري الرعية أو كاهن آخر مفوض، ولكن عند الضرورة القصوى، كل انسان، مسيحياً كان أو غير مسيحي، ذكر أو انثى يستطيع أن يعمد، بشرط أن يعرف كيف يعمد، وأن ينوي ان يفعل ما تفعله الكنيسة.

تم المعمودية في الطقس اللاتيني، يصب الماء على رأس طالب المعمودية، وفي الوقت نفسه تلفظ الكلمات الصورة. أما في بعض الطقوس الشرقي فتتم بالتغطيس.

يسمى المعمد باسم أحد القديسين، لكي يقتدي به في الحياة، ولكي يكون له القديس شفيعاً سماوياً.

٣. لا بد من كفلاء أو اشايين لطالبي المعمودية، ومهمتهم أن يسهروا على تربية الأشخاص الذين عمدوهم، ويعتنوا بهم روحياً، خصوصاً لم يكن لهم من يهتم بهم.

على الوالدين واجب ثقيل أن يسرعوا في تعميدهم اطفالهم. واذا تأخروا يخطاون لأن الطفل معرض لخطر الموت بأكثر سهولة من غيره. الأطفال الذين يموتون غير معمدين، يذهبون الى "ليمبوس" حيث يحرمون معاينة الله.

٤. عندما يريد الانسان أن يعتمد، ولا يمكنه ذلك، وقد أصبح في خطر الموت يمكنه أن يعوض عن المعمودية أما بمعمودية الدم، أي الاستشهاد من أجل الدين، وأما بمعمودية الاشتياق وهي فعل محبة شديدة لله، مقرونة باشتياق الى اتخاذ الوسائل التي وضعها الله للخلاص، ومن ضمنها المعمودية.

أنت تحمل اسم أحد القديسين، ذلك القديس كان انساناً مثلك، الا أنه كان منبعاً لتعاليم السيد المسيح الى حد البطولة. فاقتدى بحياة يسوع وأعماله، بامانة وحب غير عاديين، وجاهد في حياته الأرضية لكي يحفظ نفسه في الصلاح، والأُن هو في السماء يتنعم بمكافأة اتعابه. هل تعرف شيئاً عن حياة القديس الذي دعيت باسمه؟ أنه صديقك والمحامي عنك، لأنه قد أخذ على نفسه، يوم دعيت باسمه، أن يساعدك فتشبهه بايمانه الحي وبجبه الشديد التين ليسوع. تشبه بحفظه وصايا الله والكنيسة، وبروح الصلاة الذي اتصف به، صل الى القديس سميك فتشعر بمساعدته لك.

خلاصة اللقاء بالاسئلة

متى انشأ يسوع سر المعمودية؟ ماذا قال للرسول عندما انشأه لماذا تدعى المعمودية "باب الأسرار" لماذا المعمودية ضرورية للخلاص؟ ماذا تصير المعمودية؟ سم العناصر الثلاثة التي تتكون منها المعمودية؟ ما هي المادة في المعمودية؟ ما هي الصورة في المعمودية؟ من الخادم المألوف للمعمودية؟ من يستطيع أن يعمد في حين الضرورة؟ هل يستطيع شخص غير مسيحي أن يعمد؟ كيف تتم المعمودية؟ كيف تعمد بعض الطقوس الشرقية؟ لماذا يدعى الطفل باسم أحد القديسين؟ من هم (اشايين) العمداد وما واجباتهم؟ هل نحن ملتزمون حفظ المواعد التي وعد بها الاشايين في المعمودية نيابة عنا؟ من يحب على الوالدين أو من يسد مسدهم أن يعمدوا أطفالهم؟ الى أين يذهب الأطفال الذين يموتون من دون المعمودية؟ بأي شئ تقوم معمودية الدم؟ بأي شئ تقوم معمودية الاشتياق؟ هل يمكننا أن نخلص من دون معمودية؟

للاستظهار: من التعليم المسيحي

1. ما هي المعمودية؟ المعمودية هي سر يمحو الخطيئة الأصلية (والفعلية أن وُجدت) مع العقوبات المتأنية عنها، ويجعلنا أبناء الله وأعضاء الكنيسة، وورثة الملكوت السماوي، يؤهلنا لقبول سائر الأسرار.
2. ما هي مادة المعمودية وصورتها؟ مادة المعمودية هي: الماء الطبيعي، وصورتها هي الكلمات: "أنا أعمدك باسم الأب والابن والروح القدس".
3. كيف تتم المعمودية؟ تتم المعمودية، بأن يُصب المعمد على رأس المعمد ماء، وعند عدم الامكان هلى جزء آخر من جسده، قاتلاً مع صب الماء الكلمات الصورة، وناوياً صنع ما تصنعه الكنيسة. أما في بعض الطقوس الشرقية فيُغطس المعمد في الماء ثلاث مرات مع تلاوة كلمات الصورة.
4. هل المعمودية بالتغطيس ضرورية؟ المعمودية بالتغجيس غير ضرورية، لأن المعمودية بالصب أو بالرش لها نفس الفعل.
5. لماذا تكفي المعمودية بالصب أو بالرش؟ تكفي المعمودية بالصب أو بالرش. لأن الانجيل لا يذكر أن المسيح قد أمر أن يُعمد بالتغطيس، دون الصب أو الرش.

٦. هل تصح المعمودية بأن يصب الماء شخص، وآخر ينطق بالصورة يجب أن يتلو الصورة الشخص الذي يصب الماء.
٧. من هو خادم المعمودية؟ خادم المعمودية هو الأسقف وخوري الرعية، أو كاهن آخر مفوض وعند الضرورة، كل انسان مؤمناً كان أو غير مؤمن يستطيع أن يعمد.
٨. هل المعمودية ضرورية؟ المعمودية ضرورية ولا خلاص بدونها، لأن يسوع المسيح قال: "إن لم يولد أحدًا من الماء والروح، فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يوحنا ٣: ٥).
٩. هل يذهب الى جهنم من يموت في الخطيئة الأصلية وحدها بلا عماد؟ لا يذهب الى جهنم من يموت بالخطيئة الاصلية وحدها بلا عماد، ولكن يُحرم النعيم بمشاهدة الله.
١٠. ماذا ينوب عن معمودية الماء عند تعذّر قبولها؟ ينوب عن معمودية الماء عند تعذّر قبولها:
- (١) معمودية الدم أي الاستشهاد من أجل الايمان.
- (٢) معمودية الشوق، أي المحبة الكاملة، المصحوبة بالعزم على قبول معمودية الماء.
١١. متى يجب أن يُعمد الأطفال؟ يجب أن يُعمد الأطفال بأقرب وقت. ويرتكب الوالدون خطية كبيرة اذا توائموا في تعمد أطفالهم. واذا مات أحد هؤلاء الأطفال بلا عماد، بتواني الوالدين. تكون خطيتهم أفضح.
١٢. لِمَ يُقام للمعمدين والمتبنين، كفلاء "أي اشابين"؟ يُقام للمعمدين والمتبنين "كفلاء" أي شابين، ليتعهدوا بحفظ وديعة الايمان وانمائها في المعمد والمثبّت، بتربيتهما تربية صالحة. ولهذا لا يجوز أن يكون الكفلاء غير كاثوليكية.
١٣. هل تنشأ في سر المعمودية والتثبيت الصحيحين قرابة روحية؟ تنشأ قرابة روحية:
- (١) بين المعمد والمعمد، وكفيله وهذه القرابة تمنع الزواج.
- (٢) بين المثبّت وكفيلة فقط. وهذه القرابة لا تمنع الزواج.

نشاطات

١. يوحنا المعمدان كان يعمد بمعمودية التوبة، ويسوع نفسه اعتمد من يد يوحنا. وفي تلك الساعة انفتحت السماوات، وشوهد الروح القدس يحل عليه بصورة حمامة، وسمع صوت الأب السماوي يقول: "هذه هو ابني الحبيب". أت هذا الحادث يمكنه أن يكون موضوع رسم جميل مع شرح تضعه أنت، ولو مأخوذاً من الانجيل، على أن تبين كيف أن معمودية يوحنا لم تكن سر المعمودية بالمعنى المسيحي، بل صورة فقط عنه.
٢. أعرض عليك حادثاً عملياً: هناك طفل ولد حديثاً وهو موجود في خطر الموت، ولا يتسع الوقت لأخذه الى الكنيسة، ولا لدعوة الكاهن ليعمده حالاً. في البيت والد الطفل وعمته. من من الاثنين يجب أن يفضل في تعمد الطفل؟

٣. سجل في دفترك تاريخ عمادك، واسم الكاهن الذي عمدك، والكنيسة التي تعمدت فيها، والاسم الذي دعيت به، واسم عرابك.

٤. هل تعرف شيئاً عن حياة القديس الذي تسميت باسمه؟ وهل عندك صورته؟ ألصقها على دفترك واكتب فيه شيئاً عن حياة ذلك القديس، وأنشئ صلاة قصيرة لآكرام ذلك القديس الذي اتخذك تحت حمايته الخاصة، فماذا نود أن تطلب منه؟

للمطالعة

اعتماد الكاتب توماس ميرتون

قص الكاتب الاميركي الشهير، توماس ميرتون، قصة اهتدائه الى الدين الكاثوليكي، وقبوله سر المعمودية، في كتابه "الحبل ذو القمم السبع" فقال:

"خرجت من البيت وتوجهت الى الكنيسة لألقي موتي السعيد عن الخطيئة وولادتي الجديدة للنعمة. كانت للسماء صافية والطقس بارداً والنهر يلمع كأنه من قصدير. وكانت الريح قد كنت للطريق من الأتربة والغبار.

كان احد ايام الخريف المملوءة حياة ونشاطاً، كأنه قد خصص للشروع في أعمال عظيمة، ومع ذلك لم أكن مرحاً أكثر من المعتاد. "رايس" كان عرابي في المعمودية، وكان الكاثوليكي الوحيد بين أصحابي الأوفياء. اما "لاكس وسيمور وجيردي" فكانوا يهودا. كلهم كانوا صمتين وأنا كنت كذلك. "رايس" وحده لم يظهر عليه من شئ من الخوف أو الجبن والحيرة. وابتدأت الحفلة الدينية وكانت غاية البساطة. فجتوت بادئ بدء أمام مذبح العذراء، حيث قبلي الأب مور في

الكنيسة الكاثوليكية، بعدما جحدت الهرطقة والانشقاق الديني، ثم انتقلت واياه الى مكان المعمودية، في احدى الزوايا المظلمة بجانب المدخل الرئيسي، ووفقت على عتبة الباب.

سألني الأب مور: "ماذا تطلب من كنيسة الله؟" فأجبت: "الايمان".

_ "والايمان ماذا يعطيك؟" _ "الحياة الأبدية"

ثم أخذ ذلك الكاهن الشاب يصلي باللاتينية، وهو يقرأ بانتباه وهدوء في كتاب الطقوس وأنا الذي طلبت الحياة الأبدية، كنت واقفاً أنظر اليه وكنت أفهم بعض الكلمات اللاتينية.

ثم التفت الى مستفهما: "هل تكفر الشيطان؟" فأقسمت يميناً ثلاثية مؤيداً كفري بالشيطان وأعماله وابطيله. وسألني ايضاً:

_ "هل تؤمن بالله الأب ضابط الكل، خالق السماء والأرض؟" _ "أومن"

_ "هل تؤمن بيسوع المسيح ابنه الوحيد الذي ولد وتألم؟" _ "أومن"

_ "هل تؤمن بالروح القدس وبالكنيسة الكاثوليكية المقدسة وبشركة القديسين ومغفرة الخطايا وقيامة الموتى والحياة الابدية؟" _ "أومن"

وعندئذ شعرت كأن جبلاً سقطت من على منكبي، وكأن غيومًا قائمة قد انقشعت عن عقلي، لتحل محلها رؤية الله الباطنية وحقيقته الأزلية. الا أنني كنت مستغرماً ساعتئذ بجمع أفكارني في الطقس الديني، ومنتظراً بقلق البقية الباقية منه. وكان ذلك يخيفني كثيراً، أو بعبارة أفضل كانت تخيفني جوقة الشياطين المقيمة في نفسي منذ ٢٣ سنة. ثم أن الكاهن نفخ في وجهي قائلاً: اخرج منه أيها الروح النجس وأحل المحل للروح القدس المعزي؟"

كان ذلك "تعزيمًا" على الشياطين لتخرج من نفسي. أني لم أرهم عندما فارقوني ولكي لا أشك في أنهم كانوا أكثر من سبعة، ولم أستطع قط أن أحصيهم، أفلا يرجعون من جديد؟ أو لا يتم في ذلك الانذار المخيف الذي توعد به السيد المسيح، ذلك الانسان الذي بعدما يكنس بيته ويزينه يعود اليه الشيطان الأول ومعه سبعة أرواح آخرون أشر منه؟

ثم أن الكاهن، أو بالأحرى المسيح الممثل بشخص الكاهن، (لأن المسيح هو الذي كان يعمل تلك الأعمال في سر المعمودية أي التطهير الروحي_ على يد خادمه المنظور) عاد فنفخ في وجهي مرة ثانية قائلاً: "يا توما بهذه النفخة الروح القدس الصالح، وأقبل بركة الله. السلام لك...".

ثم أتى الكاهن صلاته عني، وكثيراً ما كان يسمى بإشارة الصليب، ثم أذاقني الملح الذي يرمز الى المحكمة، لكي أستطيع أن أتذوق طعم الأمور الروحية، وأخيراً سكب ماء المعمودية على رأسي ودعاني باسم "توما".

(من كتابه: الجبل ذو القمم السبع)